لقب سنة من الشعراء والمراد هنا معقل بن ضرار بن حرملة بن غطفان كما قال في الخلاصة الشاعر المشهور وبعد البيت

يسد به نوائب تعتريه … على الأيام كالنهل الشروع

والمفاقر وجوه الفقر قال جمع مفقر كمقعد أي موضع الفقر هذا هو الظاهر من عباراتهم وتفسيرهم إياها بالوجوه والقياس لا يأباه وقال بعضهم أنه جمع فقر على غير قياس كما قالوا في المذاكير أنه جمع ذكر وفي المحاسن أنه جمع حسن والنوائب النوازل والمصائب والنهل محركة جمع ناهل وهو العطشان قاله أبو زيد وقال أبو عبيد يطلق على الشارب وعلى العطشان والشروع بالضم جمع شارع اسم فاعل من شرعت الدواب في الماء شرعا وشروعا دخلت وهي إبل شروع بالضم وشرع كركع فيهما وعلى حضور وشهود ونحوهما مما استعمل جمعا ومصدرا والجار والمجرور الذي هو كالنهل صفة ثانية أو ثالثة لنوائب أي نوائب كالإبل العطاش الشارعة في الماء في طلبها بلنا الشرع ودخولها فيه من غير توقف ولا تزحزح ولا توان ويجوز كونه حالا من نوائب لتخصيصها بالصفة التي هي تعتريه أي حال كونها كائنة كالنهل فيما ذكر وعلى في قوله على الأيام للمصاحبة أي نوائب مصاحبة للأيام أي للنوازل وحوادثها والجار ومجروره صفة نوائب أو حال منها أو من فاعل تعتريه العائد عليها أو من مفعوله أي حالة كونه صاحبا للأيام أي مجربا لحوادثها والله أعلم فأما جملة تعتريه فصفة لنوائب لا غير ويجوز في كالنهل أن يكون نعتا لمصدر محذوف منصوب على المفعولية المطلقة أي يسد به سدا كائنا كالنهل في الضعف وأخذ المقدار المحتاج اليه لأن النهل هو الشرب الأول والله أعلم وأطلنا بعض شرح هذا الشاهد لاضطراب شراح الأصل فيه ثم قال في الصحاح والرجل قانع وقنيع قال عدي بن زيد

وما خنت ذا عهد وأيت بعهده … ولم أحرم المضطر اذ جاء قانعا

يعني سائلا وقال الفراء هو الذي يسألك فما أعطيته قبله والقناعة بالفتح الرضى بالقسم وقد قنع بالكسر يقنع قناعة فهو قنع وقنوع وأقنعه

الشيء

الشيء أي أرضاه وقال بعض أهل العلم أن القنوع قد يكون بمعنى الرضى والقانع بمعنى الراضي وهو من الأضداد وأنشد

وقالوا قد زهيت فقلت كلا … ولكني أعزني القنوع

وقال لبيد

فمنهم سعيد آخذ بنصيبه … ومنهم شقي بالمعيشة قانع

قلت استدلاله بالبيت الأول للقنوع ظاهر وهو دليل قوي كالنص لا سبيل الى الطعن فيه . وأما الاستدلال بالبيت الثاني للوصف الذي هو قانع فلا ينهض لأنه كما يقال قانع من قنع المفتوح الذي بمعنى سأل كذلك يقال قانع من قنع المكسور الذي بمعنى رضي كما قدمناه فيحتمل أن يكون لبيد بناه من قنع المكسور فلا يكون فيه دليل كما لا يخفى وقد أهمل الجوهري به كما أخلاه بمصادر قنع المكسور التي قدمناها وهو قصور ثم قال في الصحاح وفي المثل خير المال القنوع وشر الفقر الخضوع قلت هكذا وقع في بعض نسخ الصحاح وفي كثيرها خير الغنى بدل المال . وهو الصواب لأمرين أحدهما مطابقة الفقر لأن الذي يذكر في مقابلة الفقر هو الغنى وان كان المال بمعناه أو قريبا منه كما يعلم بتتبع عباراتهم . الثاني أن أهل الأمثال انما أوردوه بلفظ الغنى وتعرضوا لشرحه وتفسير ألفاظه والرواية فيه ولم يذكروا في شيء من الروايات خير المال وقد أورده أبو عبيد بهذا اللفظ وفسر القنوع بالرضى كما عند الجوهري وغيره واعترضه عليه البكري زاعما أن القنوع لا يكون الا بمعنى الخضوع ولا يستعمل بمعنى القناعة والرضى وهو قصور منه رحمه الله بل القنوع مسموع مستعمل أيضا في معنى الرضى كما عرفت فلا وجه لانكاره نعم يرد على أبي عبيد كالجوهري وابن القطاع وغيرهم أن هذا المثل منسوب لأوس بن حارثة عند الجمهور والوارد عنه أن أوسا غير هذا اللفظ فقد روى أنه عاش دهرا وليس له ولد إلا ابنه مالك وكان لأخيه الخزرج خمسة أولاد عمرو وعوف وجشم والحارث

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)